

التركيب الاستفهامي في المناجاة الإلهية عند أهل البيت (ع) (دراسة في الأثر والدلالة)

م.م. أسعد جساب مغامس

أ.د. سالم يعقوب السلمي

جامعة البصرة _ كلية التربية للعلوم الإنسانية _ قسم اللغة العربية

خلاصة البحث:

التركيب الاستفهامي من الأبنية التخاطبية الطلبية ، التي تستدعي مخاطبا مستقبلا الخطاب، ومتلقيا له، لذا فهو من الأبنية التي تعتمد طبيعتها اللغوية على حضور عناصر العملية التخاطبية: (المرسل ، والمستقبل، ونص الخطاب) ، ولما كانت المناجاة الإلهية تستدعي متلقيا كونيا لتلقي الخطاب الصاعد إلى السماء، فمن المؤكد انزياح بنية الاستفهام عن دلالتها الأصلية لتطلّ على نافذة دلالية جديدة، فيفرغ المنتج طاقاته التعبيرية وانفعالاته النفسية في تلك البنية لتبرز السمات الفردية للمنتج؛ ليخلق خطابا ذا سمات تعبيرية تتساق مع الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص.

الكلمات المفتاحية: التركيب، الاستفهام، الانزياح، المناجاة الإلهية، أهل البيت .

The Interrogative Structure in Divine Addressing Among the Household of the Prophet (PBUT) (A Study in Influence and Semantics)

Asst. Lect. Asaad Jassab Maghames

Prof. Dr. Salem Yaqoob Al-Salami

Dept. of Arabic Language, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

The interrogative structure is derived from the imperative communicative structures, which necessitate an addressee who is both the recipient and addressee of the discourse. Therefore, it is one of the structures whose linguistic nature relies on the presence of elements of the communicative process: the sender, the recipient, and the text of the discourse. As divine invocations call for a recipient that is celestial to receive the discourse ascending to the heavens, it is certain that the interrogative structure deviates from its intended connotations to gaze through a new semantic window. The producer invests their expressive energies and psychological emotions in this structure to highlight the individual characteristics of the producer, creating a discourse with expressive features that align with the literary genre to which the text belongs.

Keywords: Structure, interrogation, deviation, divine invocation, the Household of the Prophet .

المقدمة :

مما لا شكَّ فيه أنَّ الاستفهام من التراكيب الطلبية التي تختزل في أبنيتها اللغوية دلالاتٍ ظاهرة وأخرى يظفر بها المتلقي الفطن بعد ترو وتفحصٍ دقيقين للنص، ناتجة عن : طبيعتها المتصلة بالمعنى المراد التعبير عنه؛ وتوظيفها في النص بشكل خاص وبلغة إبداعية مفارقة لمركزية المعيار الأصلي يكسبها معنى آخر، فتعكس ظواهر أسلوبية بحلية جديدة ودلالات أخر تتجلى فيها وتتضح الغايات الكامنة في نفس منشئها، فتتراوح تلك المقاصد بين الحقيقة مرة، والمجاز أخرى . لذا تتنوع الأنماط التركيبية ؛ لتنوع المقاصد والسياقات والمواقف الكلامية عند المتكلمين، فنجد البنية التركيبية الواحدة تتسع إلى دلالات سياقية متعددة ، أو تضيف معنى آخر غير الذي وضعت له بالأصل.

إنَّ أدعية المناجاة الإلهية عند أهل البيت (عليهم السلام) تتسم بلغة أدبية عليا، لكونها خطابا موجَّها بالدرجة الأولى إلى الله تعالى ، ومن جانب آخر عصمة منتجها ونأيه عن الخطأ والعبث، إذ إنها تمثل مسارا للخطاب الصاعد إلى السماء، لذا فهو يمثل قمة إبداعية يفصح عن مكنونات النفس، ويكشف أعلى مراتب الخضوع والتذلل والاستكانة، فوق (التركيب الاستفهامي) في تلك النصوص بكثافة كبيرة، ليعبر عن المقاصد، والدلالات التي تتناغم مع أدب المناجاة ومخاطبة الله تعالى، ومن جهة أخرى وظف كوسيلة تهذيبية للطلب من الله تعالى، لأنَّ الأصل في الاستفهام أن يكون الطرف الأول (المُسْتَفْهِم) مفقرا لما يستفهم عنه على خلال الأبنية الطلبية الأخرى(كالأمر والنهي) اللذين يشترط فيهما الاستعلاء، فوظفت هذه الخصوصية كأداة فاعلة للتأدب في الطلب في المناجاة الإلهية، وعليه فإنَّ التركيب الاستفهامي وبمعية وحدات لغوية أخرى يفي بوظائف في النص ، أضفت على النصوص خصوصياتها التي تتناغم مع جنسها الأدبي(المناجاة)، ولا يخفى على متأملٍ أنَّ لغة المناجاة لغةٌ مثلت أعلى مدارج الإبداع والتفنن البلاغي ، ومن هنا نجد التركيب الاستفهامي في نصوص (المناجاة الإلهية) محورا مهما من محاور البحث الأكاديمي العلمي. فقرر الباحث الوقوف على آلية تركيبه ، ومقاصده التي يؤديها من خلال الانزياحات التركيبية الطارئة عليه في السياقات المختلفة ، و السمات الفنية الانفرادية التي تميزه عن غيره من التراكيب. وتتضمن هذه الدراسة مسالك عديدة:

المسلك الأول: في مفهومي الدعاء والمناجاة:

لا شكَّ أنَّ التداخل المفهومي بين المصطلحين حاضر في الأذهان، بشكل يصعب التفريق بينهما تفريقا تاما منعزلا، لكن المتأمل سيعي ذلك الفرق الدقيق بين المفهومين، وإن كانت علاقتهما فيما بينهما علاقة البعض بالكل، فكل مناجاة هي دعاء بالمفهوم العام، وليس كل دعاء مناجاة، وعليه فالدعاء أعمُّ من المناجاة وأوسع مساحةً.

جاء في لسان العرب أن معنى الدعاء ثلاثة أضرب: الأول: توحيد الله والثناء وإظهار نعمه عليه كقولك: (يا الله لا إله إلا أنت)، و(ربنا لك الحمد)، والضرب الثاني: مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منها، والثالث: مسألة الحظ من الدنيا كقولك: (اللهم ارزقني مالا وولدا)، وسمي هذا جميعه دعاء؛ لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله: (يا الله ، يارب ، يارحمن) فلذلك سمي دعاء^(١)، " وسمي التهليل التمجيد والتمجيد لأن منزلته في استجاب ثواب الله وجزائه، كالحديث الآخر: (إذا شغل عبدي ثأؤه عليّ عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)"^(٢)، والمناجاة لا تخالف ماهية هذه المصاديق الثلاثة التي تقدم ذكرها، لكنّ المفارقة تكمن في آلية تحصيل كل منهما، وطريقة أدائها.

قال ابو هلال العسكري: "الدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، يقال دعوته من بعيد ودعوت الله في نفسي ولا يقال ناديته في نفسي" وأصل الدعاء طلب الفعل دعا يدعو^(٣)، وقيل الدعاء: عطف نظر المدعو إلى ما يدعى إليه، ويكون باللفظ أو بالإيماء أو الإشارة وهو أعم من النداء، لأن النداء يختص بالصوت واللفظ فقط^(٤). أما الدعاء بوصفه مفهوما اصطلاحيا إسلاميا: وهو توجه العبد إلى الله تعالى في طلب حاجته، وإصلاح أمره في الدين والدنيا سواء أكان جهرا أم خفاه، فالداعي غير مقيد بزمان و مكان معينين، والمناجاة في اصل وضعها الكلام سرا وناجاء: كلمه سرا، قال الراغب الأصفهاني: "والنجوة والنجاة المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله.. وناجيته، أي: ساررته وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض، وقيل أصله من النجاة، وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه، أو أن تتجو بسرّك من أن يطلع عليك وتتاجى القوم، قال تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا إذا تناجيتُم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبرّ والتقوى)"^(٥)، وعليه فالمناجاة في أصل وضعها ليست طلبا كما هو حال الدعاء بل هي مخاطبة الله تعالى والحديث إليه بكل خضوع وتوسل وافتقار، "فتختلف عن الدعاء و عن النداء في إنها خطاب قريب بين متناجين لا تحتمل الغفلة أو السهو، وإنما هي إقبال من المناجي إلى الذي يناجيه بكل جوارحه وجوانحه وكأنها خطاب بين متحابين"^(٦)، وعلى هذا لا تكون المناجاة إلا بالتوجه المطلق والاستعداد القلبي، حيث الحالة الروحية الخاصة^(٨) التي تمكن الإنسان من أن يخاطب الله تعالى في ظروف خاصة، مع الاستشعار القلبي بعظمة من يناجي، وهذا القيد هو جوهر الفرق بين (الدعاء والمناجاة)، ولعل هذه الجنبه لا نجدها دائما في الدعاء، فقد يضطر الإنسان إلى الدعاء وهو في حال ضيق ومعاناة، لكنّه ليس لديه القدر الذي يمنحه الاستعداد القلبي والروحي المطلقين. وهذه المفارقة بين المفهومين قد تتعذر في بعض النصوص للتفريق بين (نص المناجاة ونص الدعاء) وتتحول لأداة غير كاشفة، ولأجل ذلك فقد أعتمد البحث في اختياره (نصوص المناجاة) ما نصت عليه المصادر والمراجع التاريخية والإسلامية .

المسلك الثاني: التراكيب الطلبية بين النحو والبلاغة:

التركيب الطلبي قبل أن يكون بحثاً بلاغياً خاضعاً لمعايير علم المعاني، فهو مولودٌ من صلب النحو ، إذ إنّ النحو ناشئ من استقراء كلام العرب من مفردات وصيغ وتراكيب وأساليب متداولة حتى وقفوا على الأغراض والمقاصد الكلامية التي كانوا يعنونها في مخاطباتهم ونصوصهم الشعرية والنثرية ، فقد كان كتاب سيبويه لا تقتصر أبوابه ومباحثه على تعلم قواعد العربية فحسب، فقد كان يحيط بكل أساليبها وأفانينها وطرائق التعبير بها، لذا نراه في أكثر من موضع، يتجاوز معيار الخطأ والصواب ، ليتعدى إلى معايير الفصاحة والبلاغة فيقف عند الأسباب الموجبة للحسن والقبح والاستقامة والتعثر وغيرها من المباحث التي اطلق عليها المتأخرون (مباحث البلاغة) ، ومن ذلك قوله في ما يختار به الرفع ويجوز به النص : " (له علم علم الفقهاء) . (وله رأي رأي الأصلاء) ، وإنّما كان الرفع في هذا الوجه لأنّ هذه خصال تذكرها في الرجل ، كالحلم والعقل والفضل، ولم ترد أن تُخبر بأنك مررت برجل في حال تعلم ولا تفهم، ولكنك أردت أن تذكر الرجل بفضل فيه وأن تجعل ذلك خصلة قد أستكملها، لأنّ هذه الأشياء صارت تحلية عند الناس وعلاماتٍ وعلى هذا الوجه رفع الصوت، وإن شئت نصبت فقلت (له علم علم الفقهاء) كأنك مررت به في حال تعلم وتفقه" (٩)

وقد عرّف صاحب (الأصول في النحو) أن النحو "أن ينحو المتكلم إذا تعلّمه كلام العرب وهو علم استخرجه المتقدمون فيه حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة" (١٠) وقد عرّف ابن جني النحو بقوله: " انتحاء سمت كلام (١١) العرب، في تصرفه من إعراب وغيره ، كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، وإن شذّ بعضهم عنها رد به إليها" (١٢) وعليه فإن النحو ذو صلة وثيقة محكمة باللغة والأدب وأفانين القول، أو قل إنّ علوم العربية بدأت ببنية موحدة وعلوم منتفعة من بعضها لا يمكن الفصل بينها فصلاً تاماً . ولم تلق محاولات الاستقلال بين العلوم مقبولة عند الباحثين (١٣) ، وذلك عندما جعلوا للنحوي العمل في الجانب التركيب اللفظي (الشكل) وجعلوا وظيفة البلاغي ادراك المعاني التي تكمن في هذه اللفاظ وإدراك اسرار حسناتها وجمال بلاغتها ، ويردُّ صاحب كتاب عروس الافراح على أولئك النحويين الذين يستشهدون في نصب الفعل الواقع في جواب التمني فيقول : " إنّ النحوي ينظر في (الترجي) و(التمني) إلى اللفظ والبياني ينظر إلى المعنى" (١٤) وهنا تحجيم واضح لدور النحو في الوقوف على دلالات التركيب وبيانها، ففي هذا التوجه مالا يخفى من تعسف واضطراب، فلو حاكمنا قول السبكي فيما هو نحوي وبلاغي فقد قربنا إلى الفصل بين اللفظ ومعناه والتركيب وفصاحته والنص وجماله، وقد علّق الدكتور قيس الأوسي على ذلك بقوله: " لا يمكننا قبول هذا الانقسام والتسليم به ؛ لأنّه يتناقض كل التناقض مع الغاية التي وضع من أجلها النحو.... ومن ثم لا يمكن الفصل بين اختصاص النحويين واختصاص أهل المعاني؛ لأننا لا يمكن في واقع

الاستعمال اللغوي أن نفصل بين صحة الكلام وفصاحته.^(١٥)، ومهما يكن من أمر فلا غنى عن مباحث النحو والبلاغة، ولا مجال لتخلي كل علم عن مباحثه، فعلم المعاني يمثل مركزية الدرس البلاغي وأهم أدواته، وكذلك الدرس النحوي الذي تعتمد مادته الأساسية على مباحث علم المعاني، لأن النحو على أضييق مفاهيمه يعتمد على الكلام والتركيب وتلك عناصر قائمة على مباحث علم المعاني ومعتمدة عليها، وما حصل من انفصال واستقلال عن بعضهما في مراحل تالية لنحو الخليل وسيبويه وابن السراج وغيرهم كان نتيجة تأثير المنطق والفلسفة على مباحث النحو وما ألحقه من ضرر في الدرس النحوي فاقصر النحو - في أغلبه - على العلامات الإعرابية والبناء ونظرية العامل والمعمول وما ماثلها، وانصرف عن النظر على أساليب النظم وبلاغة التركيب، وهذا على الرأي الأرجح سبب انقطاع النحو عن البلاغة^(١٦).

المسلك الثالث: مفهوم الطلب وحدوده:

الطلب هو ما يستلزم مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، لأن الطلب من غير تصور تفصيلاً أو إجمالاً لا يصح^(١٧) ويستدعي، فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلًا وقت الطلب لأنّ المطلوب إذا كان حاصلًا وقت طلبه انتفى الطلب^(١٨)، وقد جعله بعض علماء البلاغة شرطاً لتحقيق قانون الطلب، وجعل مرجع حصوله إن لم يكن للكلام تمثيل في الواقع الخارجي وقت الطلب فإن كان خلاف ذلك يخرج من الأساليب الطلبية، ويدخل حينئذٍ الإخبار المحتمل للصدق وعدمه.

إن دراسة خواص التراكيب تتوقف على الرجوع إلى طبيعة التركيب نفسها، فلا مهرب من ذلك، وقد أوضح السكاكي ذلك بقوله: "إنّ التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة، لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة، فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار، ثم حُمل ما عدا ذلك عليه شيئاً فشيئاً على موجب المساق، وفي كلام العرب شيئان: الخبر والطلب"^(١٩) والطلب خمسة أنواع: الأمر، والنهي، والاستفهام والتمني، والنداء^(٢٠).

المسلك الرابع: التركيب الاستفهامي وفاعليته الدلالية في نصوص المناجاة الإلهية:

الاستفهام لغةً: "الفهم معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته... استفهمته سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً"^(٢١)، والاستفهام في اللغة كما يرى ابن فارس هو: "طلب الفهم"^(٢٢)، وهو بمعنى الاستخبار، وقيل الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً^(٢٣) وتلك علامة فارقة بين من اعتقد ذلك بين الاستفهام والاستخبار وقد فسر ابن فارس بقوله: "الاستخبار طلب ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام"^(٢٤)، وهو من الأبواب التي نظر إليها النحويون الأوائل وأحاط علمهم به، فسيبويه عقد له باباً سماه (باب الاستفهام) وأوضح بعض أدواته في الكلام العربي، وذكرها يجب أن يتصدر في الاستفهام في الأصل^(٢٥)، وتحدث عنه المبرد في مواضع متفرقة من أبواب النحو^(٢٦)، ومنهم من عرّفه على أساس معناه وغرضه فجعل شرط الاستفهام الحقيقي أن يكون المستفهم خالي الذهن من العلم بما يستفهم عنه إذ قال ابن القيم الجوزية: "هو أن يستفهم عن شيء لم يتقدم

به علم حتى يحصل به علم^(٢٧) وعرف الاستفهام المجازي الذي يفارق الأصل الذي وضع له بقوله: "استفهام العالم بالشيء مع علمه"^(٢٨)

ويكاد أن يتوضع علماء النحو والبلاغة في تعريفه على طلب العلم والفهم ، من المخاطب ، وإذا ما ذُيل التعريف بمقيدات شرط العلم أو الجهل بالمستفهم عنه ، فتكون تلك لوازم مقيدة باعتبار معناه لا باعتبار أصل الوضع ، وعلى ذلك فإن التركيب الاستفهامي الحقيقي تتوافق بنيته الظاهرية مع بنيته الباطنية (العميقة) ، وهذا النوع الوحيد - بنظر البحث- الذي يدخل دخولا حقيقيا في أسلوب الطلب " لكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله بالذهن، لزم ألا يكون حقيقيا إلا إذا صدر من شاكٍّ مصدّق بإمكان الاعلام، فإنّ غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الاعلام انتفت فائدة الاستفهام"^(٢٩) .

أما الاستفهام الذي عرف باسم (الاستفهام المجازي) قد يفارق أصل ما وضع له، فيحقق ابتعاده عن مركزية بابه النحوي، لأنّ الاستفهام "لا يكون حقيقيا إلّا إذا كان لفظه الظاهر موافقا لمعناه الباطن عند سؤالك عما لا تعلمه"^(٣٠) ، وبذلك يحدث مفارقة بين البنية الظاهرة وبنيته الباطنية، فينتقل الذهن به - عند تلقّيه - إلى دلالات وأغراض أخرى، وعندها يجعل المتلقي مشاركا فعلا في العملية التواصلية ومنتجا لدلالاتها، إذا ما علمنا أن التركيب الاستفهامي بالأصل ذو طبيعة تواصلية تبليغية، لكونه خطابا مجسدا العلمية التواصلية، ومشتملا على عناصرها الرئيسة (المرسل والمستقبل والنص) .

وقد اهتم علماؤنا الأوائل بالأغراض التي يحققها الخطاب الاستفهامي ووقفوا عليها، فقد ذكر سيبويه الاستفهام في مسائل أبواب كثيرة في كتابه، وأشار إلى الاستفهام الذي يخرج عن أصل بابه ويفارق معناه الحقيقي، فذكر الاستفهام الذي يخرج إلى التوبيخ إذ يقول: "وذلك قولك: أتميمًا مرة وقيسيًا أخرى؟، فأنت في هذا الحال تعمل في تثبيت هذا له وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأل مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه ولكنه وبّخه"^(٣١).

وقد ذكر الفراء في كتابه (معاني القرآن) بعض أغراض الاستفهام المجازي كالتعجب والاختبار والتقرير والتوبيخ^(٣٢) مدركا أن أدوات الاستفهام تخرج عن معانيها الحقيقة مستقرة في معانٍ ودلالات أخرى، وهي بذلك تحقق انزياحا دلاليا بمفارقة أصل بابها، وقد أشار ابن جني إلى الأغراض المجازية التي يتضمنها الاستفهام، وله إشارات مهمة في هذا الشأن ومن تلك : أنّ الاستفهام إذا فارق معناه الذي وضع إليه يظلّ ملاحظا لهذا المعنى ناظرا إليه وقد أوضح معنى التقرير والإنكار والإخبار في الاستفهام وكذلك وظيفته الدلالية في تحويل النفي إلى إثبات والاثبات إلى نفي^(٣٣)، ولذا قد عمدت العرب إليه ، فنظرت إليه وحللت شواهد القرآنية ونصوصه التراثية، مثبتة بالدلائل والحجج خروجه عن حقيقته، إذ يقول ابن جني في هذا: "وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء"^(٣٤)، ومن خلال ذلك فإن الاستفهام المجازي يختزل في تركيبه غايات ودلالات تختلف باختلاف السياقات والمناسبات.

أهمية التركيب الاستفهامي وغاياته :

للتراكيب الاستفهامية بنوعها المجازية والحقيقية أهمية بالغة في توكيد المعاني وتقريرها، لأنّ البنية التكوينية لهذه التراكيب، تقوم بإظهار المعاني وإبرازها، ومن ثمّ ستقع المعاني الناتجة عن الخطاب الاستفهامي موقعا حسنا في ذهن ، لأنّ "قيمة الاستفهام ناتجة من أنه يكون حوارا مع النفس أو مع الغير لهذا فإنه يخلق ثنائية وحركة في بنية العمل الأدبي تجعله يقترب من مستوى التعبير الدرامي الذي هو أعلى صورة من صور التعبير الأدبي"^(٣٥)، وقد تعدد غايات الاستفهام استنادا إلى المناسبة والموقف والقصد الكامن في نفس المنشئ، فقد تكون الغاية منه إيضاح الاسم أو الصفة أو أو إيضاح حقيقة المسمّى، في حال كونه حقيقيا^(٣٦)، وقد أدرك ابن جني أهمية التراكيب الاستفهامية وغاياتها ووظائفها اللغوية منذ زمن مبكر، فتراه يقول -وهو يتحدث عن الوظائف المهمة للاستفهام والشرط- : "ودع هذا كلّ الم تسمع ما جاؤوا به من الأسماء المستفهم بها، والأسماء المشروط بها؟ كيف أغنى الحرف الواحد عن الكلام الكثير المتناهي في الأبعاد والطول؛ فمن ذلك قولك: كم مالك؟ ألا ترى أنّه قد أغناك ذلك عن قولك: أ عشرة مالك؟ أم عشرون؟ أم ثلاثون أم مائة أم ألف ، فلو ذهبت تستوعب الأعداد لم تبلغ ذلك؛ لأنه غير متناه؛ فلما قلت (كم) أغنتك هذه اللفظة الواحدة عن الإطالة غير المحاط بآخرها، ولا المستدركة وكذلك (أين بيتك)، قد أغنتك (أين) عن ذكر الأماكن كلها وكذلك (من عندك؟) قد أغناك هذا عن ذكر الناس كلّهم"^(٣٧) فأوجز ابن جني في هذا النصّ الجانب الوظيفي في التركيب الاستفهامي، وهو (الإيجاز والحذف)، لأنّ العرب - على حد قوله: إلى الإيجاز أميل وعن الإكثار أبعد^(٣٨)، فيحذفون فضول الكلام^(٣٩)

ولذا يمكن القول إنّ الاستفهام له وظائفه الدلالية واللغوية والجمالية، لما له من قوة تعبيرية وحسن الدلالة، فضلا عن المعاني البلاغية التي يهيمن عليها حينما يُوظف في النصّ توظيفا بلاغيا فتنتقل حركة المعنى أفقيا من الإنشاء الطلبي إلى الإنشاء غير الطلبي أو إلى الإخبار أو إلى الطلب مرة أخرى، كما هو الحال في خروج الاستفهام إلى الأمر والنهي ، فينقل اللغة من اللغة العادية إلى اللغة الإبداعية أو (الشعرية)، فيحقق بذلك فوائد ووظائف كثيرة متعلقة بالتأثير والإثارة. وهو شكل من أشكال التواصل اللغوي تحكمه علاقات تتكئ على سياقات مختلفة. فضلا عن وظيفته الإبداعية و الحجاجية ، وما للحجاج من دور مهم في تكثيف المعاني وتقويتها.

المسلك الخامس: توظيف الاستفهام في المناجاة الإلهية عند أهل البيت عليهم السلام:

إن السمات الفنية التي تتميز بها لغة المناجاة جعلت توظيف أساليبها ذات فاعلية تأثيرية واثارة فنية ، وهي بذات قد أزاحت لغة المناجاة عن اللغة العادية إلى اللغة الأدبية، " والمناجاة هي الخطاب الصاعد في مقابل النصّ القرآني الذي يمثل الخطاب النازل من السماء وهي تستحضر متلقيا كونيا من خلال السمة التهذيبية و الاقناعية التي تحملها"^(٤٠) لذا فإن الأئمة عليهم السلام اصطفوا أساليبهم بعناية ووظفوا عباراتهم توظيفا حسنا،

لما في المناجاة من شعور نفسي واحساس قلبي تتكئ بالدرجة الأساس على عرض الافتقار الدائم والضعف والانكسار أمام الخالق، فأدبية المناجاة تتسم بسمة تهذيبية تفتقر إليها الخطابات الأدبية الأخرى، فهي خطاب النفس قبل أن يكون خطابا في اللسان والعقل، ولما كان تركيب الاستفهام يختزل قوة تعبيرية في الكشف عما في نفس المنشئ، وتوظيفه البلاغي يدفع متلقيه إلى الوقوف على المعاني الإيحائية الناشئة من عدة اعتبارات نفسية، ولغوية فيتولد معنى آخر يدركه المتلقي الفطن عند وقوفه على النص الإبداعي^(٤١)، إذا فهو " ينقل أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس ويبث أخفى الخواطر والهواجس باعثا في نفس المتلقي شتى الإحياءات المتوهجة فتحس نبض القلوب في نبض الكلمات، وحرارة الانفعالات في التعبيرات.. وهو أسلوب لا يعتمد المنهج العقلي المجرد بل يغلب عليه إثارة العواطف وشحن الوجدان بالدرجة الأولى"^(٤٢) فإن أهل البيت عليهم السلام في مناجاتهم ربهم استشعروا تلك الوظائف التي يحويها التركيب الاستفهامي، فوظفوا الطاقات الكامنة في الكشف عن غاياتهم في إطار محورية العلاقات بين العبد وربّه بصورة تملّي على المتلقي الفطن التفاعل التام والمشاركة في العملية الإبداعية.

ولما كان الاستفهام الحقيقي يستدعي جوابا من مخاطب حاضر أو ما هو بمنزلته، فكان هذا الأمر ينافي الغرض الرئيس في المناجاة الإلهية في أغلب مفاصلها، لذا انزاحت أغلب التركيبات الاستفهامية في نصوص المناجاة عن معناها الحقيقي مفارقة محدودية المعاني متجهة إلى دلالات غير محدودة في ظل تنوع السياقات المختلفة والمناسبات التي تضم التركيب اللغوي، فقد غلب - وبصورة ملفتة - على نصوص المناجاة التوظيف المجازي للتركيب الاستفهامية، وخروجها إلى معانٍ بلاغية كثيرة، فاستعمل المناجون عليهم السلام - وهم امتداد المدرسة القرآنية المحمدية - الاستفهام المجازي في هذا السياق الدلالي على نحو كبير، إذ حملت طبيعة جمالية خاصة، وإشارات روحية يستشعر من خلالها القارئ الافتقار الدائم والضعف والعجز أمام ربّه والقرار بالذنب والتقصير .

ومن الملاحظ أن الأغراض البلاغية للاستفهام في نصوص المناجاة غير موقوفة على ما أقره الدرس البلاغي، فقد يشحن الغرض الواحد، بلامح متعددة فيكون نفيا مشحونا بالتعجب وقد يكون استبعادا فيه شيء من الإنكار والنفي، ويرجع ذلك إلى فاعلية السياقات اللغوية وغير اللغوية المحيطة في التركيب وقد يكن تقريراً لكن له معنى في اللوم والتأنيب ومن هنا يمكن القول إنّ التسليط القسري لتلك الأغراض التي أقرت في البلاغة العربية من دون النظر إلى المناسبة والسياق وعناصر العملية الإبداعية (المنشئ، المتلقي، النص) أمر مغلوط ويجني نتائج مجانية لحقيقة الغرض الكامن وراء اللغة الإبداعية بما فيها قصدية المتكلم والهدف من خطابه.

وتلون الغرض البلاغي بغرض آخر بنظر البحث لا ينافي التأصيل المعتاد في علم البلاغة، بل يعود ذلك إلى فاعلية السياقات اللغوية وغير اللغوية للوقوف على الدلالات المراد إيصالها.

المسلك السادس : الدراسة التطبيقية:

جاء في المناجاة الشعبانية الواردة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وقوع التركيب الاستفهامي في جواب (إن الشرطية) "إِلَهِي إِنْ حَرَمْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْزُقُنِي وَإِنْ خَذَلْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُنِي ، إِلَهِي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَضَبِكَ وَحُلُولِ سَخَطِكَ" (٤٣) وقد انزاح التركيب الاستفهامي الوارد في الموضعين بـ (من ذا) عن معناه الموضوع له وهو طلب العلم بذات الفاعل " تطرح بنية العمق تمدها صياغيا يفصح عن الوظيفة الإنتاجية للأداة" (٤٤)، فخالف الإمام عليه السلام النسق التعبيري المعتاد والمألوف ومن المعلوم أنّ التغيير في أجزاء الجملة وتوظيف التركيب على نحو خاص يتبعه تغيير قصد معين في الأداء ، فانتقلت حركة المعنى إلى الاستبعاد والنفي، بعد ما كانت مكونة في الطلب والاستخبار، ومن هنا تتأتى الفائدة اللغوية وراء هذا العدول، إذ إن ذهنية المتلقي عند تلقيها الخطاب في الوهلة الأولى تحاكم وتفسر الخطاب على أثر البنية السطحية الطلبية ، وبعد النظر إلى القرائن الحالية المحيطة بالجملة المتحركة في ظاهرة الانزياح والمهيمنة على حركة المعنى ، يدرك المتلقي ذلك الانتقال فيقع في الذهن موقعا حسنا بعد تتبع حركته واستقراره عنده وبذا تحدث مفارقة بين البنيتين السطحية والباطنية، فإذا علم متلقي النص أن (من ذا) في الموضعين قد وقعت في جواب (إن الشرطية) في قوله " إِنْ حَرَمْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْزُقُنِي " و"إِنْ خَذَلْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُنِي" قد أدرك ذلك الانتقال والمفارقة وعلم المعنى المتولد من وراء التركيب، وأدرك تمام الإدراك أن طلب الجواب لا يطلبه المنشئ في النص، لوجود قرينة سياقية حالية مانعة من طلبه وهي: أداة الشرط وفعله، (إن حرمتني)، فتجريد التركيب منها مع قطع النص عن مناسبتها، كفيل بتغيير حركة المعنى ، وبذا استقر في الذهن بعد حركة تقصي وتبحر، إنّ الرزق منتفٍ ومستبعدٌ في كون حصول الحرمان من الله، والنصرة منتقية ومستبعدة من غير الله، فلو قال بأسلوب خبري مباشر: (لا يرزقني أحدٌ بعد حرمانك، ولا ينصرني أحدٌ بعد خذلانك) لأصبح المتلقي، أداة مستقبلية غير مسهم في العمل الإبداعي في العملية التواصلية ، كما هو عليه من اشتراك وانتاج بفتيات خاصة ومفاجآت في عملية التلقي فكان التأثير أكبر ومن النفس أمكن.

إن توظيف الاستفهام في النص المتقدم لا يقتصر غرضه في نقل حركة المعنى من الطلب إلى النفي والاستبعاد ، بل أضفى على النص ما يتفق ومناسبة النص إذ جعل النص أكثر استشعارا بالتذلل والافتقار إلى الله، والتذلل والافتقار هما المحاوران الأهم في المناجاة، وفي ذلك بوح واعتراف من مناجٍ مقصر إلى مناجى متعتم متفضل، فقصر الامام عليه السلام النصره والرزق على الله تعالى دون سواه.

وورود التركيب الاستفهامي في جواب الشرط بـ(إن) الشرطية تكرر في نصوص المناجاة كثيرا ممّا يشكل ظاهرة بارزة في تلك النصوص وله دلالاته التي يتفرد بها عن السياقات الأخرى ومن ذلك ما جاء في نص أمير المؤمنين عليه السلام : " إِلَهِي إِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَدْ دَنَا أَجَلِي وَلَمْ

يُذِنِّي مِنْكَ عَمَلِي فَقَدْ جَعَلْتُ الْإِقْرَارَ بِالذَّنْبِ إِلَيْكَ وَسَيِّلْتِي^(٤٥) فانزاح المعنى في النص (من أولى منك بذلك؟) إلى النفي فيستقر المعنى في البنية العميقة: (إلهي إن عفوت عني وتجاوزت عن ذنوبي وتقصيري فلا أحد أولى منك بالعفو) مسجلا مفارقة عن وضع أصله وهو طلب الفهم والاستخبار وبذلك يدخل الاستعمال من أوسع أبواب اللغة الإبداعية، وعليه فإن موقع الإخبار الناشئ من اللغة الفنية (الإبداعية) أوقع في النفس من اللغة المعيارية الاعتيادية^(٤٦)، وذلك لعدة اعتبارات وأبرزها: إن الأسلوب المباشر: (لا أحد أولى منك بالعفو) لغة إخبارية يحتمل الشك والتردد في القبول على ما جرى عليه الاستعمال في عملية التلقي أما الاستعمال الذي أورده الإمام عليه السلام: (إن عفوت فمن أولى منك بذلك) يستطلع فيه المتلقي أركان الاستفهام (أداته والمستفهم عنه وما تعلق بهما) موظفا مختزلاته المعرفية فلم يجد أولى من الله بذلك ولا أحق منه، وعليه تتولد دلالة النفي في جهتي الاسناد ويمتنع الاتصاف بين المسند والمسند إليه، فيستقر المعنى في ذهنه فيكون استقرارا بعد نقص وحركة ، لا يمكن للشك أن يتخلله ، ومن جهة أخرى إن اللغة الإخبارية المباشرة، تجرد العناصر اللغوية في الاستعمال عن إحياءاتها وتقطع السبيل إليها، فتتعلق دائرة المعنى، على العكس من التوظيف المجازي، إذ يجعل الإحياء اللفظي من القوة والسيطرة وبعد المدى والحيوية بمكان عظيم^(٤٧)، فتنتقل بؤرة التركيز من الدال اللغوي إلى الدوال الإيحائية التي أنتجها التوظيف الفني للأسلوب.

فالإمام وظف ما تتيح له اللغة من إمكانيات فيما يخدم أغراضه ومراميه، فأنتج المعنى بشكل فني رائع، فقصر العفو كله على الله تعالى ، وهذا ما يخدم غرضه في الخطاب.

ومن هذا النمط ما جاء في مناجاة لأمير المؤمنين (عليه السلام):

" إلهي، فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِذَلِكَ، وَإِنْ عَذِبْتَ فَمَنْ أَعْدَلَ مِنْكَ فِي الْحُكْمِ هُنَاكَ "^(٤٨) وما سيق من معنى في النص الذي قبله ينطبق على هذا النص، فقد خرج الاستفهام في الموضعين إلى غرض النفي، إلّا أن التقابل في الموضعين (إن عفوت...) و (إن عذبت...) عزز دلالة التركيب الاستفهامي (النفي) وقواها، فالدلالة الناتجة عن تقابل الأضداد، لها وظيفتها البلاغية والتأثيرية، لأنّ الذهن ينتقل من سماع شيء إلى إدراك ضده^(٤٩)، إذ حصلت المقابلة بين فعلي الشرط (عفوت، وعذبت) - وهما فعلا ماضيان لفظا دالان على المستقبل،^(٥٠) - فالتقابل بينهما مع تجاور التركيبين في السياق، قد أضافا خصوصية للنص، إذ أنتجا المعنى: (إن عفوت فلا أولى منك بالعفو، وإن عذبت فلا أعدل منك بالحكم هنالك)، ولما كان أمر المناجاة الذي يطلب العفو والمغفرة مقيدا بنتيجتين: حصول العفو أو عدمه، فإن التركيبين قد استوفيا ذلك في طرفيهما، فعكس ما في نفسه عليه السلام من الرضا والتسليم المطلق لحكم الله تعالى، والاعتراف بالفضل فيما يجود عليه من عفو وإحسان في كل حال من الأحوال، وهذا ما يعزز الارتباط الروحي بين الإنسان وخالقه ، وذا من المعاني العزيزة التي يحرص عليها المناجي.

ومن النصوص الواردة في هذا النمط التركيبي ما جاء في قول الامام علي بن الحسين (عليه السلام) في مناجاة التائبين: " مَا أَجِدُ لِذُنُوبِي سِوَاكَ غَافِرًا ، وَلَا أَرَى لِكَسْرِي غَيْرَكَ جَابِرًا ، وَقَدْ خَضَعْتُ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْكَ وَعَنَوْتُ بِالْأَسْتِكَانَةِ لَدَيْكَ ، فَإِنْ طَرَدْتَنِي مِنْ بَابِكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ ، وَإِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ جَنَابِكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ " (٥١). بدأ الامام نصّه مناجيا منكسرا مستكينا، لم يجد ملجأ سوى الله تعالى، فلا يرى سواه غافرا ولا جابرا لكسره غيره ، بتمام الخضوع والتسليم ، ثم يستفهم استفهما انكاريا في تركيبين متناظرين وفق سيمترية، فنيّة، (، فَإِنْ طَرَدْتَنِي مِنْ بَابِكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ ، وَإِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ جَنَابِكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ) فوق التركيب الاستفهامي في جواب الشرط مفارقا معناه الحقيقي، فالإمام عليه السلام لا يطلب معرفة بديل آخر غير الله تعالى ليعوذ ويلوذ به، بل استفهم مستكرا ومستبعدا، والمعنى: (إن طررتني من بابك ورددتني عن جنابك فكل ملاذ ومعاذ منكور ومستبعد)، فالنص متصف بمعانٍ إيحائية لم تأت من أسلوب الاستفهام بل ناتجة عن القيمة الإبداعية للتوظيف الاستفهامي في النص، بما فيها اجتماع الشرط والاستفهام ، والتوازي في أبنية التراكيب، وما يحمله من تناسب صوتي ونغمي ، فضلا عن ارتباط التراكيب بالمعنى العام لهذه المناجاة (مناجاة التائبين) فكل هذه الصلات جاءت متعاقبة ومترابطة، فكأن النص ينطق بصور يرسمها في الذهن تشي بحال ذلك العبد المسكين الذي يطرق بابا وهو أمله ورجاؤه وليس له غنى عنه، ولا ملاذ سواه، فإن ردّ أو طرد عمّا قصده، انتهت حكايته وتلاشت، وذهب إلى غياهب المجهول، وعليه فتوظيف أسلوب الاستفهام في النص جعله ناطقا بمعانٍ تعبدية وإيحاءات تعكس الحالة الشعورية للخضوع أمام الساحة الربوبية الذي يكون ظاهره إبداء الذلة والمسكنة، وباطنه السمو والعزة والكرامة (٥٢)، وتلك الدلالات الهامشية تشكل أهم المعاني التي يحرص عليها المناجي لخدمه أغراضه ومراميه في التوبة.

وعلاوة على ما تقدّم فإنّ اختيار الإمام عليه السلام لهذه البنية الاستفهامية ولدت فاعلية للنص ، إذ جاء باسم الاستفهام (من) يتصدره حرف الجر (الباء) الموحية بالاستعانة ممّا ساندت المعنى الذي يرومه الإمام وهو الافتقار الدائم للمخلوق، ولما كان الأصل أنّ أسماء الاستفهام في الأبنية الظاهرة ، هي عناصر تمثل اسماً ما في بنية العمق، فقد كان التناظر الإعرابي حاضرا بين ذلك الاسم واسم الاستفهام، وبمعنى أدق: إن أسماء الاستفهام تقوم مقام الاسم وتؤدي وظيفته الإعرابية (٥٣)، وعلى ذلك فإن الأصل في (بمن ألوذ؟) هو: (ألوذ بك) و(بمن أعوذ؟) هو (أعوذ بك) لذا الاستفهام وقع في متعلق الفعل (الباء مع مجرورها)، ولما كانت أسماء الاستفهام لها الصدارة فانزاح متعلق الفعل وقُدّم على عامله فتسلط التركيز على المتقدم وذلك أدعى لتمكن المعاني في نفس متلقيها، وعلى الرغم من خروج الاستفهام عن معناه وتضمنه معنى الانكار لكنّ التركيب مازال محتفظا ببعض وظائف الاستفهام (٥٤) من الرتبة، والبنية ، ومحاكمة المتلقي للنصّ أولاً على وحدة الأصل، قبل أن يظفر بالمعنى الذي خرجت إليه أداته ، فاستفهام الإمام عليه السلام مع علمه المطلق بحقيقة ما يستفهم عنه، لم يكن إلا لشحن النص بمعنى إنكار الافتقار لكل ما دون الله.

ومما يزيد تمكن هذا النمط من التركيب - أعني الاستفهام المقترن بصفة الشرط- نجد هناك تضافرا بين أجزائه في النص الشريف، إذ جاء الشرط وجوابه في ذيل الكلام الذي تكونت منه عبارات المناجاة وقد هيمن على ذلك التذلل والخضوع بشكل جلي وواضح، وانكشف فيها الانكسار الذي يؤدي إلى الصغار والاستكانة، من خلال اختيار الإمام للألفاظ المناسبة التي تجعل النفس هيئة صغيرة أمام بارئها، وذلك مثل لفظ (الطرد) ومرادفه المتمثل بالردّ والصدّ، وما يقابل ذلك من ألفاظ الإعلاء من قدر المناجي (تقدس اسمه) الذي خلع عليه العظمة والكبرياء وصفات الكرم والسمو، ويظهر ذلك بألفاظ فتح الباب أمام اللاجئين إليه وتأتي هذه الألفاظ في قوله: (فَإِنْ طَرَدْتَنِي مِنْ بَابِكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ، وَإِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ جَنَابِكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ)؛ لتناسب ما تقدمها من كلام الذي مهّد فيه الإمام (عليه السلام) لهذا التذلل والخضوع لله تعالى، بما وصف نفسه وهي تحيط بها الذنوب الكبيرة التي أدّت إلى انكساره الشديد والذي عبّر عنه بقوله: (ما أجد لذنوبي سواك غافرا ولا لكسري غيرك جابرا)، لذا وقع الاستفهام في موقع يعبر من خلاله عن الحالة الشعورية للمناجي عليه السلام.

وقد تكرر في نصوص المناجاة كثيرا اقتران التركيب الاستفهامي بأداة استثناء مما أراح المعنى في بنية العمق إلى النفي والإنكار، لما كان الاستفهام معناه النفي صلح مجيء الاستثناء^(٥٥)، فأداة الاستثناء أراحت أداة الاستفهام عن معناها الموضوع له إلى الإنكار والنفي وعندئذ تكفلت بتحويل التركيب الطلبي إلى إخباري وحققت غايات كلامية لا يمكن أن تغني التراكيب الأصلية المطلقة، وقد يكون الاستثناء مفرغا وهو الغالب في نصوص المناجاة، لأنّ المفرغ لا يأتي مع الإيجاب^(٥٦)، لأنه يتضمن المحال والكذب^(٥٧)، أو قد يكون منفيّا تاما في مواضع أخرى.

ومن هذا النمط ما جاء في نص الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في (مناجاة التائبين) :
" هَلْ يَرْجِعُ الْعَبْدُ الْآبِقُ إلَّا إِلَى مَوْلَاهُ؟ أَمْ هَلْ يُجِيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ"^(٥٨). وقع التركيب الاستفهامي في معرض إظهار التذلل والعبودية إلى الله تعالى، فلشدة الحاجة لوقوع المعنى بشكل مؤكد، وظف الإمام عليه السلام التركيب الاستفهامي بالشكل الذي يناسب أغراضه الداعية إلى الإقرار بالعلاقة بين العبد ومولاه وتوثيقها على قدر مسوغات معنوية وروحية تؤهله إلى طلب الغفران والتوبة، "وعلاقة العبد والمولى هي إحدى العلاقات القائمة بين الله والإنسان، فكل الناس عبيد والله هو مولاهم المطلق"^(٥٩) فخرجت أداته إلى معنى النفي، بأسلوب فني مؤثر، إذ وقعت (إلّا) في سياق التركيب الاستفهامي بـ(هل)، فأزاحت التركيب عن معناه الموضوع له، فأنتجت المعنى مخصصا مقصورا بأسلوب بلاغي (الاستثناء المفرغ) ذي وظيفة إخبارية وتأثيرية، وذلك يكون أكبر تأثيرا وأشدّ تمكنا من النفس، لو استعمل الإمام الإخبارية المباشرة وقال: (يرجع العبد إلى مولاه) لما كانت ميزة للتركيب غير الإخبار المباشرة، لذا اختار عليه السلام ما من شأنه أن يشحن السياق بما يجعله يتميز بسعة التخيّل فيمتلئ الموقف مفاجأة وانفعالا ناتجة من عملية الانتقال من الأسلوب الطلبي إلى الأسلوب الإخباري بطريقها إلى القصر والحصر إرضاء إلى الموقف

الكلامي ومناسبة القول ، لذا لجأ الإمام في نصه إلى قصر التركيب الفعلي (الفعل والفاعل على متعلقه) شبه الجملة (بطريقة الاستثناء المفرغ الذي يقصد به إظهار المبالغة في أثبات الوصف المذكور^(٦٠)) والقصر والشمول والإحاطة، وإيماناً من المنشئ بفاعلية هذا الأسلوب في تخصيص المعاني وتثبيتها والمعنى المتولد: (لا يرجع العبد الآبق إلا إلى مولاه) ، فكان التركيب ذا قدرة إيحائية نستشعر من خلالها المعاني النفسية التي تكمن في نفسه عليه السلام، والداعية إلى تصور ذلك العبد الآبق المفنقر إلى مولاه وذلك ما يخدم المناسبة التي من أجلها نشأ النص (التوبة)، والآبق هو العبد الذي يفرّ ويهرب من مولاه من غير خوف ولا كدّ عمل^(٦١). " لكن جميع الأبواب موصّدة في وجهه فيتيقن أنّ الهروب من ساحة المولى والفرار من طاعته لم يمنحه الحرية، فيدرك أنه لا ملجأ له سوى ساحة الربوبية ، ولا مأوى سوى حظيرة مولاه ولا طريق أمامه سوى العوده إليه.^(٦٢)

وكذلك الحال في الموضع الثاني من النص المتقدم : " أم هل يُجِيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ " فوقعت (أم) مع (هل) منقطعة بمعنى لأن المتصلة لا تقع مع (هل) لاختصاصها بالتصديق^(٦٣)، وهذا مذهب جمهور النحاة والبلاغيين، قال أبو علي الفارسي "ومما لا تكون (أم) فيها إلا المنقطعة قولهم: (هل عندك زيد أم عمر) فهذه التي لا تكون بمنزلة (أي) لأنك في أي تثبت أحد الشيئين أو الأشياء وتدعي أحدها وهذا المعنى إنما يكون في الهمزة..^(٦٤) واحتج الجرجاني على عدم جواز مجيئ المتصلة مع (هل) على خلاف (الهمزة)، إذا قال: "أعلم أن أم لا تعادل غير الهمزة لأنّ معنى المعادلة أن تتصل بها ويجرياً معها مجرى (أي) و(أي) لإثبات واحد من شيئين أو أكثر فإذا قلت أزيد عند أم عمرو؟) بمعنى: (أيهما عندك؟) كنت قد اثبتت واحداً من هذين بغير عينه. والهمزة لها أصل في الإثبات بدلالة ما ذكره أنها تجيء للإثبات كقوله: (أطرباً؟) لأنه لم يُرد أن يستفهمه عن طربه وإنما أثبت له ذلك فوبخه عليه ولا يكون هذا الإثبات في (هل) ، لو قلت: (هل تخرج؟) كان استفهاماً صريحاً ولم تكن عالماً بخروجه وإذا كان كذلك لم يجز أن تقول: (هل زيدٌ عندك أم عمرو؟)^(٦٥) وعليه يكون الكلام بنيتين منفصلتين على خلاف (أم) المتصلة التي تجعل الكلام بنية واحدة، فتجعل عناصره اللغوية صائرة إلى التعانق والترابط و متصلة ببعضها.

وعودة على بدء فإن الإمام انتقل من تركيب إلى آخر مستعينا بالخاصية الأسلوبية التي تنماز به (أم) المنقطعة، والتي بمعنى (بل) فأضفت طابع العدول في المعنى، من التركيب الاستفهامي الأول إلى الثاني إذ المعاني متحركة بشكل أفقي في النص، أي: لا يرجع العبد الآبق إلا إلى مولاه بل لا يجيره من سخطه أحد سواه. وبذلك يكون التركيب الثاني سائداً إلى الناتج المتحصل من الأول مع زيادة في الاستشعار في حاجة العبد إلى مولاه، فالاستفهام في التركيبين يحمل كماً كبيراً من الإنكار والنفى، لكن تعاطف التركيبين وتجاوزها في النص، أدّى ما لا تؤديه التراكمات الانفرادية، وبذلك تنتج دلالة أخرى حصيلتها: لو رجع العبد إلى مولاه بعد محاولة هروب وغياب، فإن الرجوع ليس غاية بذاته وإنما لا تحصل فائدة منه إذا لم

يكن المولى راضيا ومتجاوزا عن خطأ العبد الناتج عن هروبه من ساحة المولى ، لذا فإن الإمام عليه السلام عدل في دلالاته من التركيب الأول (الرجوع إلى المولى) وهو وسيلة لطلب دلالة التركيب الثاني (وهو حصول العفو والإجارة من السخط) وهذا أشد وأعظم في نفسه من الأول، لأن الرجوع متعلق بالعبد نفسه، أما الصفح والإجارة متعلقان بالمولى، ففاعلية التجاور في التراكيب الاستفهامية تركت ظلالها في النص، فالاستفهام هنا - إذا ما نظرنا إلى عناصر الدائرة التواصلية (المنشئ، النص ، المتلقي) - ناطق بدلالات إيحائية اثرت النص وترتبط أيا ارتباط بالمعنى العام للنص وهو طلب التوبة والرجوع إلى الله يستشعرها بوضوح ذلك الإنسان المناجي ربه طالبا التوبة والصفح .

فحاصل المعنى ناتج من عدة تحولات على مستوى العمق فكل تحول ينتج عن مفارقة للسطح فكلما ازدادت التحولات حقا تباعدا عن ظاهر التراكيب اللغوية، وبذلك التباعد تنتج دلالات يفنقر التركيب العادي للبوح بها. فالنص بدأ بالاستفهام والطلب (هل يرجع العبد الأبق ..) (هل يجيره ..) فوقعت أداتا الاستثناء (إلا وسوى) فأزاحت الاستفهام عن معناه فتحول إلى أسلوب اخباري بلاغي، مفاده: قوة النفي والانكار ، ثم جاء الأثبات بعد أداتي الاستثناء فقصرت المعاني بطريقة بلاغية ، لا يؤديها الإخبار المباشر ولا أسلوب القصر نفسه إذ هناك بون في وقوع المعنى وتلقيه بين قولنا: (لا يرجع العبد الأبق إلا إلى مولاه) وقوله عليه السلام: (هل يرجع العبد الأبق إلا إلى مولاه)؛ لأن النفي في النص الأول نفي صريح فبه يكون المتلقي سامعا ومستهلكا، أما النص الثاني فقد أدخل المتلقي في مشاركة فعلية في إنتاج المعنى بعد تحولات وانزياحات أسلوبية فأدرك المتلقي النفي بعد كد ذهني، ولأجل ذلك كان ناتج المعنى أكثر التصاقا بفحوى الخطاب وأقوى فاعلية في إحياء المعنى المقصود^(٦٦) .

وقد شغل هذا النمط التركيبي مساحة واسعة في مناجاة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) فجاء هذا النمط وفق أبنية متوازية متسقة من حيث البنى التركيبية ، فاستحوذت على النص إذ يقول عليه السلام: ((مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمَوْلَى وَأَنَا الْعَبْدُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ إِلَّا الْمَوْلَى ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمَالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوكُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إِلَّا الْمَالِكُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْعَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّلِيلَ إِلَّا الْعَزِيزُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْخَالِقُ وَأَنَا الْمَخْلُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَخْلُوقَ إِلَّا الْخَالِقُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْعَظِيمُ وَأَنَا الْحَقِيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْحَقِيرَ إِلَّا الْعَظِيمُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْقَوِيُّ وَأَنَا الضَّعِيفُ وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّعِيفَ إِلَّا الْقَوِيُّ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنَا الْفَقِيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ إِلَّا الْغَنِيُّ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمُعْطِي وَأَنَا السَّائِلُ وَهَلْ يَرْحَمُ السَّائِلَ إِلَّا الْمُعْطِي ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْحَيُّ وَأَنَا الْمَيِّتُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَيِّتَ إِلَّا الْحَيُّ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْبَاقِي وَأَنَا الْفَانِي وَهَلْ يَرْحَمُ الْفَانِي إِلَّا الْبَاقِي ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الدَّائِمُ وَأَنَا الزَّائِلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الزَّائِلَ إِلَّا الدَّائِمُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الرَّازِقُ وَأَنَا الْمَرْزُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَرْزُوقَ إِلَّا الرَّازِقُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْجَوَادُ وَأَنَا الْبَخِيلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْبَخِيلَ إِلَّا الْجَوَادُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمُعَافِي وَأَنَا الْمُبْتَلَى وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُبْتَلَى إِلَّا الْمُعَافِي ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْكَبِيرُ وَأَنَا الصَّغِيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ

الصَّغِيرَ إِلَّا الْكَبِيرُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْهَادِي وَأَنَا الضَّالُّ وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّالَّ إِلَّا الْهَادِي ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ وَأَنَا الْمَرْحُومُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَرْحُومَ إِلَّا الرَّحْمَنُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ السُّلْطَانُ وَالْمُتَّحِنُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُتَّحِنَ إِلَّا السُّلْطَانُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الدَّلِيلُ وَأَنَا الْمُتَحِيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُتَحِيرَ إِلَّا الدَّلِيلُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْغَفُورُ وَأَنَا الْمُذْنِبُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُذْنِبَ إِلَّا الْغَفُورُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْغَالِبُ وَأَنَا الْمَغْلُوبُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَغْلُوبَ إِلَّا الْغَالِبُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الرَّبُّ وَأَنَا الْمَرْبُوبُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَرْبُوبَ إِلَّا الرَّبُّ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْمُتَكَبِّرُ وَأَنَا الْخَاشِعُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْخَاشِعَ إِلَّا الْمُتَكَبِّرُ ، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَرْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ وَارْضَ عَنِّي بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَفَضْلِكَ يَا ذَا الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالطَّوْلِ وَالْأَمْتَانِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(٦٧)

التفت هذا النص من مناجاة أمير المؤمنين إلى قضية التوحيد، إذ نراه يعمق معنى الوجدانية بذكر صفات الله العزيزة المتعالية، وأسمائه الحسنى من خلال المفارق التضادية، الذي يحملها اختيار المنشئ للألفاظ الدالة على الشموخ والعلو والرفعة، وهي ألفاظ تستدعي بعضها بعضا محكومة بالتضاد مع العناصر الأخرى، فحينما يرد اللفظ الأول يذهب الذهن إلى الضد منها على الفور؛ لأنّ التضاد القائم في النص تضاد حادّ غير متدرج، فيذهب بالذهن إلى الضد بسهولة ويسر، كما في: (المولى والعبد، المالك، والمملوك، والعزیز والدليل،). وهذه التراكيب المعمارية الجمالية جعلت النص منسجما مسبوكا، وفي ظل هذه التراكيب الفنية وظف أسلوب الاستفهام بشكل متراكم قد أنبأ سؤاله عن جوابه بأسلوب بديهي. وهذا يدل على وعي المنتج (عليه السلام) بما توفره اللغة من إمكانيات يستطيع أن ينتقل بها من الإخبار والإبلاغ إلى الخلق والإبداع.

فكل نمط استفهامي قيد بتركيب مماثل لما يليه هذا ما يعرف في الدراسات البلاغية (التوازي النحوي أو التوازي التركيبي)^(٦٨) وهو من أهم أنواع التوازي وأبرزها، فتكرار التركيب النحوي يقتضي تكرار الصورة الصوتية التي اعتادها المتلقي في أول مرة، إذ يتمثل بتقسيم الفقرات بشكل متماثل وأنساق تعبيرية متشابهة في طول النغمة والتكوين النحوي في مواضع من النص، فيمنحه قيمة جمالية لا غنى عنها في تحقيق اللغة الشعرية^(٦٩)؛ فكل ذلك سترك أثره في الجانب الدلالي إذا ما استطاع المنشئ أن يجعل الأنماط المتوازية تقي بوظائف تتعلق بالدلالة، وليس فقط الإيقاع والتوازن الصوتي وغيرها من أشكال التوازي.

ومما ضاعف فاعلية التركيب الاستفهامي في النص هو موقعه في النمط اللغوي المنظم إذ كان كل نمط يتكون من: أسلوب نداء متكرر (مولايا مولايا) فحذف حرف النداء في الأسلوب الأول لمباشرة النداء من المناجى إلى المناجى من دون واسطة أو حائل بينهما، وهذا ما يعكس المعاني النفسية التي تكمن في نفسه (عليه السلام) ثم كرر الأسلوب ذاته لتأكيد نداء المولى، وليكسب الخطاب خصوصيته في أدب المناجاة، إذ لو قال عليه السلام (يا مولايا مولايا) أو (يا مولايا مولايا) أو (يا مولايا) من دون تكرار، لفقد الخطاب خصوصيته باعتبار مناسبته وسياقته، ثم جاء بالجملة الاسمية التي عبر الإمام من خلالها عن ثبوتية تلك المعاني واستقرارها في نفسه، ثم قابلها -بواسطة العطف- بما يغيرها دلاليًا، فأضفى التغيرات

والتضاد دلالة وإيحاء آخر للمعنى المعجمي، ولا شك أنَّ الضد يظهر حسن ضده ويستجلب للنص معاني لا تتوافر في غيره، إذ يقول (عليه السلام): (أَنْتَ الْمَوْلَى وَأَنَا الْعَبْدُ... وَأَنْتَ الْمَالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوكُ و...)، والتضاد جلي بين المتعاطفين. فبعد اثبات معانيه بين الجملتين و توزيع عناصره اللغوية بما يؤكد عبوديته للمولى ، جاء بعد ذلك بالتركيب الاستفهامي المتصدر بـ(هل) الداخلة على الجملة الفعلية (وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ إِلَّا الْمَوْلَى) و(وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إِلَّا الْمَالِكُ) ... يحمل قدرا كبيرا من الإنكار والنفي وهو من المعاني المعروفة في استعمال (هل) عند النحاة والبلاغيين^(٧٠)، ثم انتقضت عناصر التركيب بأداة الحصر والقصر (إِلَّا) فقصرت الفعل والمفعول به على الفاعل وهو من باب قصر الصفة على الموصوف^(٧١) والمعنى (لا يرحم العبد إلا المولى ولا يرحم المملوك إلا المالك)، والنفي الكائن في أداة الاستفهام في هذا التوظيف أبلغ من استعمال أدوات النفي، وذلك أنَّ بقاء أداة الطلب في البنية الظاهرية أدلَّ على التضرع والتذلل ، لكون خروج الاستفهام من أصل وضعه لا يلغي تصور الطلب إلغاء تاما، ولا شك أنَّ الطلب هو أداة التذلل . ولما كان طلب العبد من المولى قد يقتضي مسوغات للطلب وقد يحتاج الطالب اثبات الحجج ليصل إلى طلبه، فوجَّه الامام الخطاب إلى ما يثبت ذلك فنقل حركة المعنى من تقرير ما هو ثابت ومستقر (بالجملة الاسمية) إلى النفي (بالاستفهام) إلى الإثبات بـ(إِلَّا) بمعنى: (اثبات ثم نفي ثم اثبات مؤكد)، إذا ما علمنا أن محاور الانتقال تجري وفق عناصر لغوية ثابتة متضادة مرة ومتغايرة أخرى نحو، (المولى العبد، والمالك والمملوك...) وفي كل نمط متكرر في النص، وبذلك تعظم حجة الطالب على المطلوب وتُمكنه من طلبه. والذي يهمننا في هذا الموضوع هو الاستفهام وتوظيفه في النص فالاستفهام أفاد معنى النفي في موضع الاستعمال وباعتبار رتبته في النمط اللغوي، وفي الوقت نفسه فإنَّ توظيفه مع ما تمليه مناسبة القول (المعنى العام) في هذا النمط يوحي بمعنى (الأمر)، وهذا ما عرف في المباحث الدلالية الحديثة (المعنى خارج النص) أو (المعنى السياقي). فإذا نظرنا إلى النص مرة أخرى نظرةً فاحصة مع ضرورة النظر إلى مناسبة القول وما يحيط به من أحوال في قوله عليه السلام: (وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ إِلَّا الْمَوْلَى ، ... وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إِلَّا الْمَالِكُ...) وجدنا (أسلوب الأمر) حاضرا حضورا ضمنيا من غير صيغ الأمر المستعملة في لغتنا، والمعنى الناتج من خارج النص هو (ارحمني). وقد تكرر هذا النمط إلى آخر النص وللغرض ذاته ، لكن الطريق إلى طلب الرحمة مختلف في كل نمط، لطالما المناجي مفتقرٌ إلى المناجى في كل أحوله وعلى الدوام (فالعبد مفتقر إلى المولى، والمربوب مفتقر إلى الرب، المملوك مفتقر إلى المالك، والذليل مفتقر إلى العزيز...). وعليه فإن المعنى المجازي للاستفهام من الممكن ان يتعدد من خلال توظيفه وعندها تتضاعف فاعليته فيتجلى أثره في اثراء الجانب الدلالي.

وفي مواضع أخرى من مناجاة أهل البيت عليهم السلام قد يحدث توظيف الاستفهام مفارقة كبيرة بين البنيتين الظاهرة والباطنة إذ يخرج الاستفهام من معناه الطلبي الذي يقتضي طلب الفهم والاستعلام والاستخبار إلى نفي المستفهم عنه واستبعاده ثم إلى طريقه إلى النهي المجازي بقدر عالٍ من التأدب والتضرع ومن ذلك

قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في مناجاته لله تعالى: ((إلهي إن أقعدني التخلف عن السبق مع الأبرار فقد أقامتني الثقة بك على مدارج الأخيار، إلهي قلب حشوته من محبتك في دار الدنيا كيف تطلع عليه نار محرقة في لظى، إلهي نفس أعزتها بتأييد إيمانك، كيف تذللها بين أطباق نيرانك. إلهي لسان كسوته من تماجيدك أنيق أثوابها كيف تهوى إليه من النار مشتعلات التهابه، إلهي كل مكروب إليك يلتجئ، وكل محزون إليك يرتجي))^(٧٢).

فكل تركيب استفهامي من التراكيب المتقدمة قد تقدمته من المعاني ما تسوّغ له مفارقة معناه الحقيقي وبلوغ معنى النهي وفق سيمترية متوازية في توزيع عناصرها اللغوية، إذ ابتدأ الإمام عليه السلام كل تركيب بالنداء بعد حذف أدواته والدخول مباشرة للمنادى صاحب العلاقة المباشرة في الخطاب، ثم اتبع ذلك بالجملة الاسمية التي تدل في أصل وضعها على ثبات الأشياء ودوامها^(٧٣)، مما مهد لانتقال حركة المعنى وتغيير اتجاهها في الأبنية الداخلية للنص. إذ قال (إلهي قلب حشوته من محبتك في دار الدنيا) ثم أردف ذلك بركني الاستفهام : (كيف تطلع عليه نار محرقة في لظى) أي: لا تجعل النار تطلع على قلب حشوته من محبتك، فمن جعل محبته في قلب إنسان وكان ذا قدرة وقوة فيحرص على منع الأذى الذي يصيبه ويتكفل بحمايته ، لذا نرى الإمام عليه السلام يقدم الحجة والدليل قبل الشروع في الطلب، فالنص قائم على تقديم آليات الإقناع من حجج وبراهين، اعتادها المجتمع اللغوي في الطلب، فوظفها (عليه السلام) في مناجاته، فعملية التلقي للنص رافقتها تحولات عديدة للوصول إلى دلالاته، والوقوف على المعنى، إذا ما علم المتلقي الموقف الكلامي والسياقي وطرفي الخطاب، فالوصول إلى معنى من المعاني بغير وسائله التي خصصت له يحدث مفاجأة ومباغطة لذا تقع المعاني في ذهن موقعا حسنا فتتمو وتعمق، ومن جانب آخر لما كان السياق هو سياق طلب وتضرع وتذلل حسن مجيء معنى النهي المجازي بغير أسلوبه المعتاد (لا الناهية الجازمة مع المضارع)؛ ففي أصل الوضع أن طلب الاستفهام أكثر استشعارا بالافتقار إلى المخاطب (المناجي) وبالحاجة إليه منه في النهي الصريح لأنّ المستفهم يفنقر لمعرفة شيء مجهول لا يعرفه فيطلبه عادة من المخاطب بأسلوب يدل على الحاجة لمعرفة شيء ما ، أما النهي فهو كالأمر في أصل وضعه يصدر من الأعلى إلى الأدنى وعادة الناهي يكون ذا قوة أو سلطة أو إرادة على المنهي لذلك اشترط النحاة والبلاغيون الاستعلاء به^(٧٤) ، لذا نجد في الاستفهام الذي خرج لغرض النهي المجازي إحياء بمعانٍ لا نجدها بتفاصيلها في النهي الصريح ، إذا علمنا " أن معنى الاستفهام يبقى قائما عند خروج الاستفهام عن حقيقته فيبقى معنى الاستفهام موجودا في المعاني أو الأغراض التي يخرج إليها"^(٧٥) فثمة فرق بين قولنا : (لا تحرق قلبا مملوءا بمحبتك) و (كيف تحرق قلبا مملوءا بمحبتك ؟) فالنهي واحد لكن آلية تحصيله عن طريق الاستفهام أضفت إحياءات ملائمة لمناسبة النص وهي المناجاة.

وكذلك الأمر في الموضع الثاني في النص المتقدم (إلهي نفسٌ أعزّزتها بتأييد إيمانك، كيف تذللها بين أطباق نيرانك..) فهو في الشكل البنائي تكرر إلى النمط الأول إذا قدّم عليه السلام الجملة الاسمية على الاستفهام تمهيدا للغرض الذي يتضمنه الاستفهام، فأخبر بتفضل الله تعالى عليه وبلوغ نعمه وإكرامه له فعزز الله تعالى نفسه بالإيمان المطلق، ثم قابل بذلك التركيب الاستفهامي (كيف تذللها بين أطباق نيرانك) فوقع المستفهم موقع الاضداد مع الخبر المتقدم، فحصلت المقابلة بالأضداد بين الخبر المتقدم على الاستفهام (تعزّزها) والمستفهم عنه (تذللها) ممّا سوغ انزياح معنى الاستفهام عن معناه الموضوع له إلى النهي المجازي أي: (لا تذللها بين أطباق نيرانك) فمن أعزّ نفسا بالإيمان به استبعد عليه إذلالها بالعذاب ، واحرقها بين اطباق النيران .

وقد يواصل هذا النمط فاعليته في التركيب الاستفهامي الثالث من النصّ إذ يقول عليه السلام: (إلهي لسانٌ كسوته من تماجيدك أنيق أثوابها كيف تهوى إليه من النار مشتعلاتُ التهابها) فخرج الاستفهام الى غرض النهي المشوب بالإنكار تتوسطة عبارات الاستعطاف والتذلل لله، فيستبعد (عليه السلام) وصول النار إلى آلة التمجيد والثناء والتسبيح لله وهو (اللسان) الذي يلهج بذكر الله، والذي خلع عليه أوصافا عديدة متمثلة في الإضافات في عبارة (كسوته من تماجيدك أنيق أثوابها..) إذ أضيفت هذه التماجيد التي جاءت بصفة جمع التفسير إلى (الكاف) العائدة على المناجي - تقدس اسمه- ولفظة (أنيق) المضافة إلى (الأثواب)، فكل ذلك شكّل نافذة حوارية، حرف مسار المعنى من دائرة طلب الإفهام إلى دائرة النهي ، والمعنى: (فلا تجعل مشتعلات إلهابها تهوى إليه لأنّ ذلك مستبعدٌ على لسان لهج بذكرك وتأنق بتمجيدك) ، فالتركيب الاستفهامية في النص قائمة على المحاجة والاقناع والتعليل ، فمن تأنق لسانه بألفاظ تمجيد الله ابتعدت عنه مشتعلات النيران، وهذا الأمر قارّ في الأذهان ويطلبه المنطق السليم.

فكان توظيف الاستفهام في نص الامام عليه السلام، وما اشتمل عليه التركيب من قرائن لفظية ومعنوية، قد تكفّل بتغيير مسار حركة المعنى عند متلقي النص وتحول الخطاب من معنى إلى آخر. فضلا عن ذلك أن توظيف التركيب الاستفهامي في النص يشع بالاستعطاف وطلب الرأفة والرحمة وهذه من أوليات المعاني التي يرومها المناجي ويطلبها في خطابه، فضلا عن التتابع الصوتي الذي انتجه توافق الفواصل المسجوعة وتساوي العناصر في توزيعها التي تعمل على كثافة الايقاع في حجم الجمل أو الفواصل، لذا إنّ توافق الفواصل يتجلّى أثرها على المتلقي في النصّ النثري^(٧٦)، فكل ذلك أضفى على التركيب الاستفهامي جمالا فنيا وقوة في الأداء ، وعليه أن المعاني التي يعتمد عليها الاستفهام -كما يبدو لي- تتوقف وبالضرورة على توظيفه وما يرافقه من مقومات ومواقف كلامية ومناسبة قول وعناصر بلاغية.

فقد تستشعر من توظيفه في التركيب الواحد معاني عديدة، وبعبارة أخرى: قد يظهر معنى من المعاني في الاستفهام مصحوبا بمعان ثانوية أخرى، مما يتكفل بعملية ثراء الجانب الدلالي وتوسعه. وقد وقف علماؤنا على ذلك عندما تعرضوا لدراسة الاستفهام في القرآن الكريم وكذلك النصوص الشعرية والثرية. وقد

ذكر اللغويون في مواضع متفرقة من مصنفاتهم أن الاستفهام الواحد قد يخرج إلى أكثر من معنى^(٧٧)، ومن جانب آخر إن تعدد رؤاهم التحليلية والإفهامية في توجيه معنى الاستفهام في الآية الواحدة، لم يكن ذلك للتركيب الاستفهامي فقط بل أن سلطة السياق ومعية القرائن اللفظية والمعنوية قد ساهمت في تعدد المعنى وتنوعه. ومن ذلك ما جاء في سورة البقرة: ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))^(٧٨)،

قال الخطيب القزويني إن الاستفهام في الآية الكريمة يفيد التوبيخ والتعجب معا "أي كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة، أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبئ عن الانهماك في الغفلة أو الجهل، وأما التعجب فلأن هذا الحال تأبى ألا يكون للعاقل علم الصانع وعلمه به يأبى أن يكفر، وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب"^(٧٩) لأن التعجب عادة يحصل بأمر غير متعقل.

وقد عدها الزمخشري للإنكار والتعجب، ويتضح ذلك في قوله: "معنى الهمزة التي في (كيف) مثله في قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجب"^(٨٠) ويضيف أبو السعود -في تفسيره- دلالات أخرى وهو في معرض حديثه عن معنى (كيف) في الآية إذ يقول: "والاستفهام إنكاري لا بمعنى إنكار الوقوع... بل بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفي الكفر بأن يقال: أتكفرون؟ لأن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً، فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده..^(٨١)"

قد جعل الرازي الاستفهام للتبكي والتعنيف^(٨٢) وهما من معاني الإنكار فلم يذكر الإنكار لدلالتهما عليه^(٨٣)، وهنا لسنا بصدد الوقوف على الدلالة الناتجة من توظيف الاستفهام في النص بقدر ما ثبتت تعدد الدلالات في الموضوع الواحد وتعاقد فاعلية السياق ونوع الخطاب وطرفي الخطاب ومناسبته في التركيب الاستفهامي، مما مكن النص من الثراء الدلالي واستتطاق التركيب بمعان أخرى.

ومن التراكيب الاستفهامية التي تختزل بين طياتها معاني عديدة ما جاء في مناجاة الإمام السجاد عليه السلام المتمثل في قوله: ((إلهي أتراك بعد الإيمان بك تُعَذِّبني، أم بعد حُبِّي إياك تُبَعِّدني، أم مع رجائي لرحمتك وصفحك تحرمني، أم مع استجارتي بعفوك تسلمني، حاشا لوجهك الكريم أن تُخَيِّبني، لئيت شعري اللشقاء ولدتني أمي، أم للعناء ربنتي، فليتها لم تلدني ولم تربني))^(٨٤). قد وجه (عليه السلام) الاستفهام في هذا النص توجيهها ذا قيمة بلاغية تشع بمعان جليلة تحمل بين طياتها بُعداً إقناعياً كبيراً، فانطلق من مرتكزات ثابتة في العرف اللغوي، فتراها يقابل بين ثنائيات ضدية في النص فقد جمع بين (الإيمان به والعذاب، الحب والبعد، الرجاء والحرمان، الاستجارة والتسليم) بواسطة (أم) العاطفة المتصلة وعلاقة التضاد بين كل ثنائية هي تضاد وظيفي باعتبار استعمالها وسياقها لا تضاد معجمي، ونسب الطرف الأول (طرف الإيجاب) من كل ثنائية إلى نفسه، أما الطرف الآخر (طرف السلب) فقد نسبته للمخاطب وهو الله

سبحانه وتعالى ثم برأ المخاطب من فعل الطرف الثاني بدليل قوله: (حاشا لوجهك الكريم أن تخيبنني)، فتوظيف الأضداد في الأسلوب الاستفهامي عضد المعنى المقصود من الاستفهام فلما كان الإيمان بالله سببا في نيل رضا الله والابتعاد عن العذاب ، وكان الحب سببا في القرب منه، والرجاء كان سببا في العطاء، والاستجارة كانت سببا في التمسك والالتزام، فقد انتفى - وبأسلوب مؤكد وراسخ عند المتلقي - الجمع بين الإيمان بالله وعذابه، وحب الله والابتعاد عنه، ورجاء الله وحرمانه الصفع، والاستجارة والابتعاد، واثبت في النفس ما يصد تلك المعاني، ولم يكن ذلك إلا آليات تعبيرية في الاستعمال أدت بمعية فاعليتها الدلالية إلى انزياح معيار أداة الاستفهام الحرفية (الهمزة) من طلب الفهم في التصديق إلى معنى النفي المشوب بالاستعطاف، والتذلل لله تعالى، وبذا اختار الإمام (عليه السلام) الأسلوب الأقرب لمتلقي النص والأكبر حجة في إظهار ما قصد إظهاره من دلالات، "فلم تكن المفارقة أسا للنتيجة وحسب بل كانت عمادا للحجج المعطاة وانتخاب الأسلوب الأنفع حجاجيا في طرحها فتخير (عليه السلام) السؤال الحجاجي ليكون وسيلته في التأثير والاقناع والاستعطاف"^(٨٥)، ولم يكن هذا التحول من الطلب إلى الإخبار بالنفي، مجردا من الوظائف الدلالية بل وظفه الإمام (عليه السلام) وفق تقنية محكمة، ويتضح ذلك من الفارق الدلالي بين التعبير المباشر بالنفي والتعبير عنه بغير أداته القارة في الاستعمال، فلو كان النص: (ما أراك بعد الإيمان بك تعذبني) لفقد جزءاً كبيراً من دلالاته التي تتساق مع المعنى العام للنص، ولتجرد النص من معنى التذلل والاستعطاف وإظهار الضعف والحاجة إلى الرحمة وهذه الأغراض يقصد إليها المناجي الذي يتصور العذاب والجزاء الإلهي أمامه، فتكون أهم مقاصده طلب الاسترحام والاستعطاف واستحصال على أكبر قدر منهما " ويذكر الأعمال الخيرة الصالحة التي صدرت منه من أجل أن يجلب محبة الله ويمهد الأرضية لتلقي الرحمة الإلهية"^(٨٦)، وعليه فقد تصبح المعاني الثانوية المختزلة في النفي ضرورة من الضرورات التي يطمح لبلوغها المناجي، وكذلك إنَّ التعبير بالنفي الصريح يجعل النص نفيا محضاً خاليا من الإيحاءات الخاصة التي تظهر قدرا من علاقة الإمام بمن يناجي، وهذا دليل واضح على أن الإمام عليه السلام لم يقصد النفي لذاته ومن أجل ذاته بقدر ما نطق به النص من معان أخرى بمعية النفي " وهذا ما يقوي الاتجاه نحو النتيجة المرجوة بعد توالي الحجج ووصلها بالرباط (أم) الذي رتب الحجج من عامها إلى خاصها لتدعم كل واحدة سابقتها"^(٨٧).

وكذلك الموضع الثاني من الاستفهام في النص المتقدم المتمثل بقوله (عليه السلام) (اللِّشْقَاءُ وَلَدَتْنِي أُمِّي، أُمِّ لِلْعَنَاءِ رَبَّتْنِي، فَلَيْتَهَا لَمْ تَلِدْنِي وَلَمْ تُرَبِّنِي) والاستفهام في هذا الموضع من باب (تجاهل العارف) فهو على علم مسبق بأنه لم يلد للشقاء، ولم ترّبه أمه للعناء، لكن لكثرة ما ينتابه من شقاء وعناء، فقصر دائرة التلقي كلها على هاتين الصفتين ولم ير غيرهما فأطّر خطابه بصيغة الاستفهام التصوري بالهمزة مع (أم) (المعادلة) قاصدا المبالغة في إظهار التحزن والتوجع فالتعبير بالأسلوب الخبري المباشر لم يف بالمبالغة في إظهار تلك المعاني فلو قال: (للشقاء ولدتي أُمِّي وللِعناء ربّتي) لأحتمل المتلقي أن هناك أحوالا من حياته

لم يذكرها، لكنه قصر حياته للمتلقى على (المستفهم عنه) وما يعادله بعد أم المعادلة إذ قال: (أَلشَّقاء ولدتني أمي أم للعناء ربنتي) فقطع احتمالية وجود أحوال أخرى للمتكلم وكأنه أخبر في البنية الداخلية للنص (لم تلدني أمي إلّا للشقاء ولم تربني إلّا للعناء)، فوقعت المعاني موقعا مؤكدا وهذه الخصوصية ستُفقد لو كان التعبير بالخبر المباشر ، والتحزن والتوجع من الأغراض المجازية التي ذُكرت في البحث البلاغي العربي^(٨٨) ، ويراد به إظهار المتكلم حزنه وألمه لما حدث له من أمر أو لما فاتته من خير، فقد عبر الإمام عليه السلام عن ذلك المعنى بأسلوب استفهامي ، يوحى بكمّ كبير من الشقاء والعناء الذي انتابه لشدة خوفه وقلقه إزاء العاقبة التي تنتظره والخوف الشديد من الله الذي أثقله ، وذلك من الوسائل التي يطلب بها عطف الله وصفحه عنه ؛ لأن الإنسان المثقل بالشقاء والعناء هو الأولى في استحصال الشفقة والرحمة من غيره، لذا قدّم (عليه السلام) حجّته الإقناعية في استحصال ما كان يرومه من مقاصد تكمن وراء الاستفهام. وهو بذلك لا يختلف عما أسس له في مواضع الاستفهام المتقدمة، من توظيف الوسائل والأفانين البلاغية وإلقاء الحجج الإقناعية في سبيل بلوغ هدفه الخطابي في استحصال عطف الله ورحمته وصفحه وتأمين خوفه الذي فتك به فنراه يذكر مظان الخوف في مناجاته، ويكرر الألفاظ التي يعدّها عليه السلام مصدر خوفه وقلقه نحو: (تعذبني تبعدني، تحرمني تُسلمني تخيبنني، الشقاء، العناء)، وبلوغ تلك المعاني هي الأهم في هذا النص إذا ما علمنا أن الموضوع العام للنص هو (مناجاة الخائفين)،

" ومن هنا فإنه (عليه السلام) يظهر في كلامه القلق الكثير تجاه العاقبة؛ ولذا فإن أكثر ما يلقي بظلاله على قلوب المتقين وعشاق الله هو الخوف من سوء العاقبة والشقاء وهذا الخوف يجعل قلوبهم في حالة من الحيرة والاضطراب ويجعلهم يفكرون دائما في أنهم في علم الله الأزلي من زمرة السعداء أم في زمرة الأشقياء"^(٨٩)

الخاتمة:

ومن خلال ما تقدم من تحليل لتراكيب الاستفهام في مناجاة أهل البيت عليهم السلام قد يثبت فاعلية التراكيب الاستفهامية وبلاغتها في إصابة المعنى الذي يطلبه المناجي. وكذلك إن تقنية توظيف الاستفهام في نصوص المناجاة أضفت عليه القدرة على الإقناع بالمحاجة والأدلة الراجحة التي تخاطب الذهن وفق الأنظمة المعرفية.

وقد سجل البحث أن الاستفهام في نصوص المناجاة يمتد إلى مساحات واسعة في النص مما يؤدي وظائف على مستوى النص من ترابط وتماسك وفق نسيج منظم وبمعنى عوامل أخرى، وهذا بدوره يترك أثره في بنية النص الداخلية فينتج عنه ما يسمى (الحبك الدلالي)

واثبت البحث في التراكيب الاستفهامية في مناجاة أهل البيت أنّ توظيف الاستفهام في سياقات مختلفة وبمصاحبة العوامل اللغوية وغير اللغوية تتعدد دلالات الاستفهام في التركيب الواحد فيجتمع الإنكار مع التعجب والإنكار مع الاستعطاف والتذلل وغيرها.

ومما لاحظته البحث هيمنة أسلوب الاستفهام المجازي على عدد كبير من نصوص المناجاة الإلهية بشكل لافت للنظر مما يجعل الباحث أن يطمح بدراسة مستقلة لأسلوب الاستفهام والوقوف على دلالاته وأغراضه بشكل مفصل.

وكذلك إنّ الاستفهام في نصوص المناجاة الإلهية لأهل البيت "عليهم السلام" في أغلب مظانه استفهام مجازي يفارق بنيته الطلبية مسجلا دلالات في حيز الإخبار كالنفي والتعجب والانكار. وقد يعود أخرى إلى الطلب كالنهي والأمر ، ومن هنا حركة المعنى تفارق بنيتها الطلبية لتدخل في بنية طلبية أخرى.

هوامش البحث

- (١) ينظر: لسان العرب : ابن منظور الأفرقي المصدري، نشر أدب الحوزة ، قم- ايران ١٤٠٥هـ: ٢٥٧/١٤
- (٢) المصدر نفسه.
- (٣) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري، ضبطه: محمد باسل السود، ط٢، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت ٢٠١٠م: ٤٩
- (٤) ينظر الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ط١، دار الاندلس ، بيروت لبنان، ٢٠١٠م: ٢٨/١٠.
- (٥) المجادلة الآية: ٩.
- (٦) المفردات في غريب القرآن أبو القاسم المعروف بالراغب الاصفهاني، ضبطه: هيثم طعيمة، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٨م: ٥٠٦.
- (٧) بوارق العرفان في مناجاة شعبان، بلال نعيم مؤسسة العروة الوثقى بيروت لبنان: ١٤ .
- (٨) شرح المناجيات الخمس عشرة، محمد تقي مصباح اليزدي، ط١، دار المعارف الحكيمة، بيروت- لبنان، ٢٠١٩م: ٢٧.
- (٩) - الكتاب: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار القلم ، مصر ١٩٦٦م: ٣/١٧١-١٧٠
- (١٠) - الاصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهيل السراج البغدادي ت٣١٦، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة الرسالة بيروت، ١٩٨٧م: ٣٥/١.
- (١٢) - الخصائص لابي الفتح ابن جني(ت٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار. ط٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ٣٤/١.
- (١٣) - ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، لدكتور قيس اسماعيل الأوسي بيت الحمة للنشر والتوزيع / جامعة بغداد، ٧٨: .
- (١٤) - عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية ، بيروت ، ٤٢٣/١.
- (١٥) - المصدر نفسه.
- (١٦) - ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، ٥٩
- (١٧) - ينظر: مفتاح العلوم، لابي يعقوب يوسف السكاكي ضبطه وقدم إليه : نعيم زرزور المكتبة العلمية بيروت ط٢/ : ١٩٨٧م ص: ٣٠٢ . وينظر: عروس الأفراح: ٤١٩/١ . وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٥:
- (١٨) - ينظر: مفتاح العلوم ٣٠٢.
- (١٩) - نفسه: ١٦٤.
- (٢٠) - ينظر: المصدر نفسه، و ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٩٥.
- (٢١) - لسان العرب: ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان ، ١٢/٤٥٩ (فهم).
- (٢٢) - الصاحب في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة: ١٩٧٧م: ٢٩٢ .

التركيب الاستفهامي في المناجاة الإلهية عند أهل البيت (ع)

(دراسة في الأثر والدلالة) : —

- (٢٣) - ينظر: المصدر نفسه. ومعتزك الأقران في اعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي تحقيق: علي محمد البجاوي / القاهرة ١٩٦٩م، ٤٣١.
- (٤) - الصحابي: ٢٩٢.
- (٥) - الكتاب، ١ / ٨٩-٩٩.
- (٦) - ينظر المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٩٤م ٢ / ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٠، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٠٩.
- (٧) - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية الحنبلي (ت ٧٥١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص: ١٦٠.
- (٨) - المصدر نفسه: ١٥٨.
- (٩) - البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار التراث / القاهرة ١٩٨٤م، ٢ / ٣٢٦-٣٢٧.
- (١٠) - أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣٠٩.
- (١١) - الكتاب، ١ / ٥٢.
- (١٢) - ينظر: معاني القرآن يحيى بن زياد الفراء تحقيق عبد الفناح شلبي الدار المصرية / مصر، ٢ / ٢٠٢.
- (١٣) - ينظر: الخصائص، ٢ / ٤٦٣-٤٦٤.
- (١٤) - المصدر نفسه: ٤٦٢.
- (١٥) - مستوى التراكيب النحوية في ضوء علم اللغة الحديث، د. محمد محمود أبو حسين دار النابغة للنشر والتوزيع ط ١، ٢٠١٥، ٢ / ٢١٥.
- (١٦) - ينظر: المصدر نفسه: ٢١٤.
- (١٧) - الخصائص: ٨٢ / ١.
- (١٨) - ينظر: المصدر نفسه: ٨٤.
- (١٩) - المصدر نفسه: ٨٢.
- (٢٠) - اسلوبية الحاج في المناجاة الشعبانية، د. موفق مجيد لبلو مجلة المبين، العدد الثامن السنة الرابعة ٢٠١٩م: ٥٢.
- (٢١) - ينظر: المعنى خارج النص، فاطمة الشبيدي دار نينوي/ دمشق، ٢٠١١ م: ١٨٨. وينظر: الانزياح الاستفهامي في سورة يوسف وأثره، حازم كريم الكلابي بحث منشور في مجلة المصباح، العدد الرابع عشر ٢٠١٣م: ٢٥٥.
- (٢٢) - الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم الدكتور صباح عبيد دراز مطبعة الأمانة ١٩٨٦م، ط ١، ١٠٧.
- (٢٣) - بحار الأنوار محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ ج ٩٤ ص: ٩٧، وينظر مناجاة أهل البيت، نبيل شعبان ط ٣، دار أنوار الزهراء ١٩٤.
- (٢٤) - البلاغة العربية قراءة أخرى د. محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ناشرون بيروت ط ١ ١٩٩٧، ص: ٢٩١.
- (٢٥) - البحار ٩٧/٩٤.. مناجاة أهل البيت: ١٩٥.
- (٢٦) - ينظر البلاغة والأسلوبية دز محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ٤، ٢٠١٠م: ٢٠١.
- (٢٧) - ينظر: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان دار القلم العربية، حلب ط ١، ١٩٩٧م: ١٤٥ وما بعدها.
- (٢٨) - بحار الأنوار ٩٤ / ٩٩. الصحيفة السجادية الجامعة، السيد محمد باقر الأبطحي ط ٥ مؤسسة الإمام المهدي - قم المقدسة ١٤٢٣هـ: ٤٠١.
- (٢٩) - ينظر: تكوين البلاغة (تقسيم جديد ومنهج مقترح)، علي الفرج، ط ١، دار المصطفى لإحياء التراث، قم المقدسة: ٣٠٩.
- (٣٠) - لأن حروف الشرط تدخل على الماضي فتصير بمنزلة المستقبلية فنقول (إن جاني زيد أكرمته)، ينظر: الجمل أبو القاسم الزجاجي تحقيق، ابن أبي شنب، مطبعة كلنسكيك باريس، ٢٢. وينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مكتبة جامعة بغداد، ١٩٩١، ج ٣ / ٢٩٨ وما بعدها.
- (٣١) - البحار، ج ٩٤ / ١٤٢، الصحيفة السجادية الكاملة، مؤسسة الأعلمي، للطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠١م، ص: ٢٩٣.
- (٣٢) - ينظر: شرح المناجيات الخمس عشرة، محمد تقي مصباح اليزدي، دار المعارف الحكيمة بيروت، ط ١، ٢٠١٩م، ١ / ١١٥.
- (٣٣) - ينظر: الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية، د. سمير شريف ستيتية/ مجلة المورد، مج: ١٨، العدد الأول، ١٩٨٩م: ٥٠.
- (٣٤) - ينظر: البرهان، ٢ / ٢١٤ وينظر: عروس الأفراح، ١ / ٤٥٩.
- (٣٥) - ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم د. محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة ١ / ٢٦٠،

التركيب الاستفهامي في المناجاة الإلهية عند أهل البيت (ع)

(دراسة في الأثر والدلالة) : —

٢٠٢٣
العدد ٤ - المجلد ٤٨ - كانون الأول سنة ١٤٤٥

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

- (٥٦) - وقد خالف ابن الحاجب جمهور النحويين في جواز التثنية مع الإيجاب بشرطين: الإفادة ، وما بعد أدواته فضلى كالظرف والجار والمجرور والحال... نحو : قرأت إلا يوم الجمعة ، فلا يستبعد أن تقرأ في كل يوم مستثنياً يوم الجمعة لذلك صلح مجيء الاستثناء المفرغ مع الإيجاب. ينظر: شرح الرضي : ١٠٦ / ٢ - ١٠٧ .
- (٥٧) - ينظر المصدر نفسه ، : ٢٦٤ : وينظر شرح الرضي على الكافية ، لمحمد بن الحسين الأستراباذي/ تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ، ط٢ مؤسسة الصحاف للطباعة والنشر طهران: ١٠٦ / ٢ .
- (٥٨) - بحار الأنوار: ١٤٢/٩٤ . الصحيفة السجادية الجامعة: ٤٠١ .
- (٥٩) - شرح المناجيات الخمس عشرة، (اليزدي) : ١ / ١٢٧ .
- (٦٠) - ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٠٥ / ٢ .
- (٦١) - ينظر : لسان العرب : ٣٧/١ (أبق)
- (٦٢) - ينظر: شرح المناجيات الخمس عشرة (اليزدي) ١٢٨ / ٢ .
- (٦٣) - ينظر مفتاح العلوم، ١٤٨
- (٦٤) - كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، عبد الفاهر الجرجاني تحقيق الدكتور كاظم المرجان وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٢م: ١٢ / ٩٥٥ .
- (٦٥) - المصدر نفسه: ٩٥٥-٩٥٦ .
- (٦٦) - ينظر: الانزياح الاستفهامي في سورة يوسف: ٢٦٠
- (٦٧) - بحار الأنوار ١١٠ / ٩٤ ، مفتاح الجنات ٨٧-٨٩ ، مناجاة أهل البيت ، ١٠٢-١٠٦ .
- (٦٨) - ينظر : ظاهرة التوازي في شعر الإمام الشافعي د. عبد الرحمن الهليل مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات العدد: ٣٣ حزيران ٢٠١٤م. : ١٢١ .
- (٦٩) - ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص لدكتور صلاح فضل، مجلة عالم المعرفة، العدد: ١٦٤م، ١٩٩٢: ٢١٥ . وينظر: المصدر السابق.
- (٧٠) - ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٣٧١ .
- (٧١) - الفعل هو وصف متقدم لفاعله كما هو الحال في الجمل الاسمية أن الخبر وصف للمبتدأ وهما عناصر الاسناد في التركيب الاسمي والفعلية وقد جعل سيبويه " زيد قائم مساوية في الإخبار لـ" قام زيد : قال السيرافي " أن يكون المسند معناه الحديث والخبر، والمسند إليه المحدث عنه، وذلك على وجهين فاعل وفعل كقولك: قام زيد ، .. واسم وخبر كقولك: زيد قائم.. فالفعل حديث عن الفاعل والخبر حديث عن الاسم". وللمزيد ينظر: شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي تحقيق د. رمضان عبد التواب وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٠م: ٥٩ / ٦٠ .
- (٧٢) - بحار الأنوار ٩٩/٩٤ . مناجاة أهل البيت: ٦٥ . الصحيفة العلوية الجامعة، محمد باقر الموحّد الأبطحي. تحقيق مؤسسة الإمام المهدي/ قم المقدسة : ١٠٢ .
- (٧٣) - ينظر: البلاغة الاصطلاحية، عبد العزيز قلقية، دار الفكر العربي القاهرة: ١٣٦ .
- (٧٤) - ينظر: المقتضب لأبي العباس المبرد تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة ، القاهرة ١٣٨٦هـ ، ١٣٥/٢ وما بعدها، ينظر: مفتاح العلوم: ١٥٣ ، وينظر الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٢٤٤ .
- (٧٥) - أساليب الطلب عن النحويين والبلاغيين: ٤١٨
- (٧٦) - ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى : ٤٠٠
- (٧٧) - ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٦٠ .
- (٧٨) - البقرة/ ٢٨
- (٧٩) - الإيضاح ١/ ٢٤١
- (٨٠) - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل لجار الله الزمخشري، تحقيق : خليل مأمون ط٣، دار المعرفة / بيروت، ٢٠٠٩م ٦٩/١ .
- (٨١) - تفسير ابي السعود، لمحمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث بيروت - لبنان ٧٦ / ١
- (٨٢) - ينظر: تفسير الفخر الرازي لأبي بكر الرازي، ط١، ١٩٨١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٦٣/٢ .
- (٨٣) - ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم عبد العظيم إبراهيم المطعني ، ط٣/ القاهرة ٤٩/١
- (٨٤) - بحار الأنوار : ١٤٤/٩٤ ، والصحيفة السجادية الجامعة: ٤٠٤ .
- (٨٥) - الحجاج تقنية دعائية في مناجيات الامام السجاد الاستفهام الحجاجي مصداقا ، أ.م. د. لمى عبد القادر خنياب بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية العدد (٢٠) مجلد ١٧ ٢٠١٧م. ، ص: ٢٠٥
- (٨٦) - شرح المناجيات الخمس عشرة (اليزدي) ٢٣٥/١ .
- (٨٧) - الحجاج تقنية دعائية في مناجاة الامام السجاد ٢٠٥ .
- (٨٨) - ينظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام محمد هارون ط ٢ مكتبة الخانجي/ القاهرة ١٩٨٤م: ٥ / ٤٩٢ وما بعدها ، وينظر: اساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٤٩ .
- (٨٩) - شرح المناجيات الخمس عشرة: ٢٣٨/١ .

التركيب الاستفهامي في المناجاة الإلهية عند أهل البيت (ع)
(دراسة في الأثر والدلالة) : —

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم الدكتور صباح عبيد، ط١، دار مطبعة الأمانة ١٩٨٦م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، لدكتور قيس اسماعيل الأوسي بيت الحمة للنشر والتوزيع / جامعة بغداد.
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي ، ابتسام أحمد حمدان دار القلم العربية ، حلب ط١٩٩٧م.
- الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهيل السراج البغدادي ت٣١٦، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة الرسالة بيروت، ١٩٨٧م.
- بحار الأنوار محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٣ .
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٣، دار التراث القاهرة، ١٩٨٤م.
- البلاغة الاصطلاحية، عبد العزيز قلقه، دار الفكر العربي القاهرة(د.ت).
- البلاغة العربية قراءة أخرى د. محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ناشرون بيروت ط١ ١٩٩٧م.
- البلاغة والأسلوبية د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ط٤، ٢٠١٠م.
- بوارق العرفان في مناجاة شعبان، بلال نعيم مؤسسة العروة الوثقى بيروت لبنان(د.ت) .
- تفسير أبي السعود، لمحمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث بيروت ، لبنان، (د.ت).
- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم عبد العظيم ابراهيم المطعني ، ط٣/ القاهرة (د.ت)
- تفسير الفخر الرازي لابي بكر الرازي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١م.
- تكوين البلاغة (تقسيم جديد ومنهج مقترح) ، علي الفرّج، ط١، دار المصطفى لإحياء التراث، قم المقدسة.
- الجمل أبو القاسم الزجاجي تحقيق ، ابن أبي شنب، مطبعة كلنسكيك باريس (د.ت) .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام محمد هارون ط ٢مكتبة الخانجي/ القاهرة، ١٩٨٤ م.
- الخصائص لابي الفتح ابن جني(ت٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار. ط٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت(د.ت).
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم د. محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ،القاهرة (د. ت).

- شرح المناجيات الخمس عشرة ، محمد تقي مصباح اليزدي، دار المعارف الحكيمة بيروت، ط ١، ٢٠١٩م.
- شرح المناجيات الخمس عشرة، محمد تقي مصباح اليزدي، ط ١، دار المعارف الحكيمة، بيروت- لبنان، ٢٠١٩م.
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي تحقيق د. رمضان عبد التواب وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٠م.
- الصاحبى في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة: ١٩٧٧م .
- الصحيفة السجادية الجامعة، السيد محمد باقر الأبطحي ط ٥ مؤسسة الإمام المهدي - قم المقدسة ١٤٢٣هـ .
- الصحيفة العلوية الجامعة، محمد باقر الموحّد الأبطحي. تحقيق مؤسسة الإمام المهدي/ قم المقدسة (د.ت).
- عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ، تحقيق: عبد الحميد هندواي المكتبة العصرية ، بيروت (د.ت)
- الفروق اللغوية ،ابو هلال العسكري، ضبطه: محمد باسل السود، ط ٢، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت ٢٠١٠م.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية الحنبلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان . (د . ت)
- الكتاب، سيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار القلم ، مصر ١٩٦٦م .
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل لجار الله الزمخشري، تحقيق : خليل مأمون ط ٣، دار المعرفة / بيروت، ٢٠٠٩م .
- مستوى التراكيب النحوية في ضوء علم اللغة الحديث، د. محمد محمود أبو حسين دار النابغة للنشر والتوزيع ط ١، ٢٠١٥م.
- معاني القرآن يحيى بن زياد الفراء تحقيق عبد الفناح شلبي الدار المصرية / مصر، (د.ت) .
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مكتبة جامعة بغداد، ١٩٩١م.
- معترك الأقران في اعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي تحقيق: علي محمد البجاوي / القاهرة ١٩٦٩م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، (د.ت)
- معجم لسان العرب : ابن منظور الأفرقي المصدري، نشر أدب الحوزة ، قم- ايران ١٤٠٥هـ.
- المعنى خارج النص ، فاطمة الشيدي دار نينوي/ دمشق، ٢٠١١م .

التركيب الاستفهامي في المناجاة الإلهية عند أهل البيت (ع) (دراسة في الأثر والدلالة) : —

- مفتاح العلوم، لابي يعقوب يوسف السكاكي ضبطه وقدم إليه : نعيم زرزور المكتبة العلمية بيروت ط ٢ : ١٩٨٧م.
- المفردات في غريب القرآن أبو القاسم المعروف بالراغب الاصفهاني، ضبطه: هيثم طعيمة، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٨م
- المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة، ١٩٩٤م .
- المقتضب لأبي العباس المبرد تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة ، القاهرة ١٣٨٦هـ .
- المقتصد في شرح الايضاح ،عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور كاظم المرجان وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٢م.
- مناجاة أهل البيت ، نبيل شعبان ط ٣ ، دار أنوار الزهراء ٢٠٠٣م.
- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط ١، دار الاندلس ، بيروت لبنان، ٢٠١٠م.
- ينظر شرح الرضي على الكافية، لمحمد بن الحسين الأستراباذي/ تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ، ط ٢ مؤسسة الصحاف للطباعة والنشر طهران (د.ت).

البحوث والمقالات

- أسلوبية الحجاج في المناجاة الشعبانية ، د.موفق مجيد ليلو مجلة المبين، العدد الثامن السنة الرابعة ٢٠١٩م.
- الانزياح الاستفهامي في سوره يوسف وأثره، حازم كريم الكلابي بحث منشور في مجلة المصباح، العدد الرابع عشر ٢٠١٣م .
- الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية، د. سمير شريف ستيثية/ مجلة المورد، مج: ١٨، العدد الأول ، ١٩٨٩م .
- الحجاج تقنية دعائية في مناجيات الامام السجاد الاستفهام الحجاجي مصداقا ، أ.م.د لى عبد القادر خنياب بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الانسانية العدد (٢٠) مجلد ١ ٢٠١٧م.
- ظاهرة التوازي في شعر الإمام الشافعي د. عبد الرحمن الهبيل مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات العدد: ٣٣ حزيران ٢٠١٤م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص لدكتور صلاح فضل، مجلة عالم المعرفة، العدد: ١٦٤، ١٩٩٢.